



الإعجاز النظمي في الآية القرآنية وأثره على وحدة موضوعها ومعناها

إعداد

أ.د. محمد عبد الرحيم جمعة سليمان

أستاذ التفسير وعلوم القرآن قسم التفسير وعلوم القرآن

كلية أصول الدين - جامعة بروكسل غرب إفريقيا

بروكسل - السويد



رئيس مجلس الإدارة والتحرير

أ.د. كامل محمد جاهين إسماعيل

أستاذ الحديث وعلومه
وعميد كلية الدراسات الإسلامية للبنين بأسيوط

نائب رئيس مجلس الإدارة

أ.د. حسن إبراهيم مصطفى

أستاذ الحديث وعلومه المساعد
ووكيل الكلية لشئون التعليم والطلاب

مدير التحرير

د. أحمد فكري صديق

مدرس الفقه العام بالكلية

أعضاء مجلس الإدارة

أ.د. أحمد الأمير محمد جاهين

أستاذ التفسير وعلوم القرآن

د. حمدي محمد ضيف حسين

مدرس التفسير وعلوم القرآن

د. سامي خميس بهنسي

مدرس أصول الفقه بالكلية

د. محمد رمضان

مدرس أصول الفقه بالكلية

الهيئة الاستشارية

أ.د. طارق عثمان الرفاعي إبراهيم

أستاذ الدراسات الإسلامية بكلية الآداب
جامعة الملك فيصل بالملكة العربية السعودية

أ.د. بلخير طاهري الإدريسي

أستاذ أصول الفقه بجامعة وهران - بالجزائر

أ.د. أحمد عبد العزيز السيد سليم

أستاذ أصول الفقه بجامعة البحرين - بالبحرين

مجلة كلية الدراسات الإسلامية للبنين بأسيوط

مجلة علمية محكمة نصف سنوية

العدد السادس - إصدار ديسمبر ٢٠٢٢/٢٠٢٢م

الترقيم الدولي : ISSN 2812-5266

موقع المجلة <https://fisb.journals.ekb.eg>



الإعجاز النظفي في الآية القرآنية وأثره على وحدة موضوعها ومعناها

محمد عبد الرحيم جمعة سليمان

قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين، جامعة بروكسل غرب إفريقيا،
بروكسل، السويد.

البريد الإلكتروني: alduktur.mohammed.goma@gmail.com

ملخص البحث:

لقد أنزل الله القرآن العظيم متحدياً به الإنس والجن فهو الرسالة الإلهية العالمية، التي لا تخص جنساً ولا لوناً ولا عرقاً، وإنما أنزله للبشرية جمعاء ليخرج الناس من ظلمات الكفر والجهالة والضلالة التي جعلت منه كائناً هلامياً بلا قيمة ولا غاية، إلى أنوار الإيمان والعلم والهداية التي ترتقي به إلى رتبة الخلافة عن الله تعالى في أرضه. ومن المعلوم أن القرآن الكريم منذ نزوله يتعرض إلى حملاتٍ مسعورة، تريد النيل منه ومن النبي الذي أنزل إليه -صلى الله عليه وسلم-، فتارة يقولون إنه من تأليفه، ومرة يقولون أعانه عليه بعض رهبان الصوامع، وتارة يقولون إنه كهانة، ومرة يقولون إنه سحر، ومرة يقولون إنه من أساطير الأولين، ومرة يجعلونه أضغاث أحلام، ومرة يجعلونه شعراً، ومرة يزعمون أنه ليس كاملاً، ومرة يدعون أنه لم يُنقل نقلاً متواتراً. والحقيقة الظاهرة الجلية للعالمين أن القرآن العظيم هو المعجزة الإلهية لأهل الأرض جميعاً. فهو معجز في لغته وأسلوبه ونظمه وآياته وبكل ما جاء به من آيات باهرات تحمل هداياته وإعجازاته في كل العلوم يشهد بذلك القاصي والداني. وقد آثرت أن يكون بحثي في وجه من وجوه الإعجاز اللغوي وهو بعنوان: (الإعجاز النظفي في الآية القرآنية وأثره على وحدة موضوعها ومعناها). وذلك لتوضيح صورة من صور إعجاز القرآن العظيم تخص الإعجاز النظفي في الآية القرآنية وأثر هذا الإعجاز على وحدة موضوعها ومعناها بصفة خاصة وعلى البيان القرآني العظيم وتفسيره بكافة أنواعه بصفة عامة، كما أبين أن الإعجاز النظفي لآيات القرآن معجزة لا تقل بأي حالة عن باقي فروع الإعجاز التي جاء به. وتهدف الدراسة إلى بيان أن القرآن كلام الله المعجز المنزل على نبيه بلسانٍ عربي مبين. وبيان رسالة القرآن الإعجازية في تثبيت أهل الإيمان وإقامة الحجة على



المعاندين. وبيان الخطاب الدعوي للإعجاز القرآني. متبعا في هذه الدراسة منهج الاستقراء والتحليل والاستنباط. وقد أثبتت الدراسة أن القرآن الكريم يمثل وحدة نظامية محكمة البناء تمثل جانبا إعجازيا قائما بذاته. وأن هناك بناء نظاميا متسلسلا للآيات القرآنية وأن الآية القرآنية العظيمة تشمل وحدة نظامية متكاملة المبنى والمعنى في إطار محدد.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، النظم، الإعجاز، السورة، الآية.





The systemic miracle in the Qur'anic verse and its impact on the unity of its subject and meaning

Muhammad Abdul rahim Juma Suleiman

Department of Interpretation and Sciences of the Century,
Faculty of Fundamentals of Religion, University of Brussels,
West Africa, Bruskel, Sweden.

Email: alduktur.mohammed.goma@gmail.com

Research Summary:

God has revealed the great Qur'an, challenging mankind and the jinn, as it is the universal divine message, which does not concern race, color or race, but He revealed it to all humanity to bring people out of the darkness of disbelief, ignorance and misguidance that made it a gelatinous being without value or purpose, to the lights of faith, knowledge and guidance that elevate him to the rank of caliphate from God Almighty in his land. It is known that the Holy Qur'an since its revelation is subjected to frenzied campaigns, wanting to undermine him and the Prophet who was revealed to him, peace be upon him, sometimes they say that it was authored, and once they say that some monks of silos helped him, and sometimes they say that it is fortune-telling, and once they say that it is magic, and once they say that it is one of the legends of the first, and once they make it a pipe dream, and once they make it poetry, and once they claim that it is not complete, and once they claim that it was not transmitted frequently. The obvious truth of the worlds is that the great Qur'an is the divine miracle of all the people of the earth. He is miraculous in his language, style, systems and verses, and with all the brilliant verses that carry his gifts and miracles in all sciences, as attested far and wide. I have chosen to have my research in the face of the linguistic miracle, which is entitled: (Miracles systems in the Quranic verse and its impact on the unity of its subject and meaning). In order to clarify a picture of the



miracle of the great Qur'an concerning the miracle of the system in the Qur'anic verse and the impact of this miracle on the unity of its subject and meaning in particular and on the great Qur'anic statement and its interpretation of all kinds in general, as I show that the miracle of the systems of the verses of the Qur'an is a miracle no less in any case than the rest of the branches of miracles that came by it. The study aims to show that the Qur'an is the miraculous word of God revealed to His Prophet in a clear Arabic tongue. And the statement of the miraculous message of the Qur'an in confirming the people of faith and establishing the argument against the recalcitrant. And a statement of the advocacy discourse of the Qur'anic miracles. In this study, the approach of induction, analysis and deduction is followed. The study proved that the Holy Qur'an represents a well-built organizational unit that represents a miraculous aspect in its own right. And that there is a sequential systemic construction of Quranic verses and that the great Qur'anic verse carries an integrated systemic unit of structure and meaning within a specific framework.

Keywords: Holy Quran, systems, miracles, surah, verse.





بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله منزل القرآن خالق الإنسان معلمه البيان نحمده سبحانه ونستعينه، ونؤمن به ونتوكل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وبعد:

فإن القرآن الكريم كلام الله المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو معجزة نبينا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الخالدة، والبحر المحيط الزاخر بكل النفائس والمعجزات، تنزيلٌ من حكيمٍ حميد، فيه الهدى والشفاء والرحمة والبيان والموعظة الحسنة والتبيان، وهو النور المبين الذي جاء؛ لينقذ البشرية كلها من التيه الذي عانت، وما زالت تعاني منه إلى أنوار الهداية واليقين.

لقد أنزل الله القرآن العظيم متحدياً به الإنس والجن فهو الرسالة الإلهية العالمية، التي لا تخص جنساً ولا لوناً ولا عرقاً، وإنما أنزله للبشرية جمعاء يقول تعالى: (الرَّ كُتُبٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) (إبراهيم: ١) فهذه الآية المباركة تحدد رسالة القرآن العظيم أنه منزل ليخرج الناس من ظلمات الكفر والجهالة والضلالة التي جعلت منه كائناً هلامياً بلا قيمة ولا غاية، إلى أنوار الإيمان والعلم والهداية التي ترتقي به إلى رتبة الخلافة عن الله تعالى في أرضه.

ومن المعلوم أن القرآن الكريم منذ نزوله يتعرض إلى حملاتٍ مسعورة، تريد النيل منه ومن النبي الذي أنزل إليه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فتارة يقولون إنه من تأليفه، ومرة يقولون أعانه عليه بعض رهبان الصوامع، وتارة يقولون إنه كهانة، ومرة يقولون إنه سحر، ومرة يقولون إنه من أساطير الأولين، ومرة يجعلونه أضغاث أحلام، ومرة يجعلونه شعراً، ومرة يزعمون أنه ليس كاملاً، ومرة يدعون أنه لم يُنقل نقلاً متواتراً.

والحقيقة الظاهرة الجليلة للعالمين أن القرآن العظيم هو المعجزة الإلهية لأهل الأرض جميعاً... فهو معجز في لغته وأسلوبه ونظمه وآياته وبكل ما جاء به من آيات

باهرات تحمل هداياته وإعجازاته في كل العلوم يشهد بذلك القاضي والداني.

وقد آثرت أن يكون بحثي في أحد نواحي الإعجاز اللغوي وهو بعنوان:

(الإعجاز النظمي في الآية القرآنية وأثره على وحدة موضوعها ومعناها)

وذلك من أجل توضيح صورة من إعجاز القرآن العظيم تخص الإعجاز النظمي في الآية القرآنية وأثر هذا الإعجاز على وحدة موضوعها ومعناها بصفة خاصة وعلى البيان القرآني العظيم وتفسيره بكافة أنواعه بصفة عامة كما أبين أن الإعجاز النظمي لآيات القرآن معجزة لا تقل بأي حالة عن باقي فروع الإعجاز التي جاء به

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في إيجاد دراسة علمية واضحة المعالم، محددة الأطر، توضح بالدليل القاطع الإعجاز النظمي في الآية القرآنية وأثر ذلك على وحدة الموضوع والمعنى لها وفق منهج دقيق، ومحدد ومستقل، وشامل، يكون مرجعاً للدارسين، وحجة على المشككين، ويسهم في إثراء المكتبة الإسلامية.

أهداف البحث:

١. ابتغاء مرضات الله، وهي وأسمى غاية أرجوها.
٢. عرض هذا الموضوع عرضاً متكاملاً يغطي جوانبه.
٣. بيان أن القرآن كلام الله، المعجز الذي أنزله على خير البشر بلسان عربي مبين.
٤. بيان رسالة القرآن الإعجازية في تثبيت أهل الإيمان وإقامة الحجّة على المعاندين.
٥. بيان الخطاب الدعوي للإعجاز القرآني.

منهج البحث:

اعتمدت في دراستي على مناهج الاستقراء والتحليل والاستنباط، وذلك على النحو التالي:

١. جمع الآيات القرآنية التي اشتمل عليها البحث، وعزوها إلى سورها.



٢. توزيع الآيات التي تم جمعها في مباحث البحث ومطالبه.

٣. تفسير الآيات من المصادر التي تجلّي معانيها، وتخدم الهدف من البحث ثم تحليلها واستنباط نتائجها.

٤. الاستدلال بالأحاديث النبوية وتخريجها من مظانها.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة، وثلاثة مباحث، وكل مبحث يحتوي على عدة مطالب، هذا بالإضافة إلى خاتمة البحث، وذلك على النحو التالي:

المبحث الأول: تعريفات خاصة بالبحث. ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإعجاز لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: النظم.

المطلب الثالث: القرآن بين السورة والآية.

المبحث الثاني: الآية مكانتها في نظم السورة المباركة وبين نظماً ذاتي. ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: كون الآية وحدة واحدة في نظمها.

المطلب الثاني: كون الآية جزء من موضوع.

المطلب الثالث: كون الآية صدر لموضوع معين.

المطلب الرابع: كون الآية خاتمة موضوع.

المبحث الثالث: نظم الآية ومناسبتها لطول الآية وقصرها. ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: الآية الطويلة.

المطلب الثاني: الآية المتوسطة.



المطلب الثالث: الآية القصيرة.

المطلب الرابع: القصيرة جدا.

الخاتمة: أهم النتائج والتوصيات

الفهارس: وتشتمل على:

فهرس: المصادر والمراجع.

فهرس: الموضوعات.





المبحث الأول

تعريفات خاصة بالمبحث

لكل بحث مصطلحاته الخاصة به والتي تمثل المفاتيح التي يدخل القارئ البحث من خلالها كما أنها تمثل القاعدة المعرفية التي يركز عليها البحث سنتناول في هذا البحث على عدة مصطلحات سنفرد لكل مصطلح مطلباً خاصاً به كما يلي:

المطلب الأول: الإعجاز لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: النظم.

المطلب الثالث: القرآن بين السورة والآية.





المطلب الأول الإعجاز لغة واصطلاحاً

أولاً: الإعجاز لغة:

يطلق الإعجاز في اللغة على إثبات العجز، وهو القصور عن فعل الشيء، فعندما يقال: أعجز فلاناً عن الأمر، إذا حاول تحقيقه فلم يحققه، والإعجاز ضد القدرة، وهو زوال القدرة عن الإتيان بالشيء من عمل أو رأي أو تدبير^(١). وفي معجم مقاييس اللغة: العين والجيم والزاي أصلان صحيحان يدل أحدهما على الضعف، والآخر مؤخر الشيء. فالأول: عجز عن الشيء يعجز عجزاً فهو عاجز أي ضعيف ويقولون: العجز في فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه^(٢). يقول ابن منظور: الإعجاز هو: الفوت والسبق بالنظر إلى حال المعجز وهو الضعف بالنظر إلى حال العاجز^(٣). وقد جمع الراغب الأصفهاني بين معاني الإعجاز اللغوية حيث قال: العجز أصله التأخر عن الشيء وحصوله عند عجز الأمر، أي مؤخرة... وصار التعارف أسماً للقصور عن فعل الشيء، وهو القدرة قال: (أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ) (المائدة: ٣١)، يقول صاحب الوسيط: أضعفت عن الحيلة التي تجعلني مثل هذا الغراب^(٤). وأعجزت فلاناً وعجزته وعاجزته، جعلته عاجزاً، قال: (وَأَعْلَمُوا أَنكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ) (التوبة: ٢) يقول

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) المحقق: محمد علي النجار الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة عدد الأجزاء: ٦ ج ١ ص ٦٥.

(٢) معجم مقاييس اللغة المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. عدد الأجزاء: ٦: مادة(عجز).

(٣) لسان العرب، لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي (ت ٧١١هـ) الحواشي: ليازي وجماعة من اللغويين الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ عدد الأجزاء: ١٥ مادة (عجز).

(٤) التفسير الوسيط للقرآن الكريم المؤلف: محمد سيد طنطاوي الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة الطبعة: الأولى ج ٤ ص ١٢٤.



صاحب التحرير والتنوير: والمعجز في الآية اسم فاعل، من المعنى: أنكم غير خارجين عن قدرة الله. (١)

(وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ) (سبأ: ٥) وفي تاج العروس: أعجزه: صيره عاجزاً، أي عن إدراكه واللحوق به، والإعجاز مصدر ومنه المعجزة وهي: اسم فاعل من الإعجاز وتكون للأنبياء خاصة، والجمع: المعجزات. (٢)

ثانياً: الإعجاز والمعجزة في الاصطلاح:

والإعجاز: هو قصور الإنسان وضعفه في محاولة المعجزة ومزاولتها، مع استمرار هذا الضعف على مرور الزمن وتقدمه (٣). حيث إن كلمة الإعجاز في الأصل تطلق على إثبات العجز، ثم أصبح لها استعما طالما ارتبطت به وهو إظهار صدق الرُّسل -عليهم الصلاة والسلام- من خلال تأييدهم بالمُعجزات. (٤)

وقد اهتم القرطبي بهذا المصطلح فضبطه وحد له شروطاً فقال: سميت معجزة لأن البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها وشرائطها خمسة، فإن اختلف منها شرط لا تكون معجزة وشروطها كالتالي:

الأول: أن تكون لما لا يقدر عليها إلا الله سبحانه، وبهذا الشرط تخرج المعجزة عن نطاق

(١) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف:

محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ عدد الأجزاء: ٣٠ ج ١٠ ص: ١٠٧

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس المؤلف: محمّد مرتضى الحسيني الزبيدي تحقيق: جماعة من المختصين من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت عدد الأجزاء: ٤٠: مادة (عجز).

(٣) المفردات في غريب القرآن المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ (عجز) بتصرف ٣.

(٤) حسن العطار، حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، بيروت، دار الكتب العلمية، صفحة ٢٩٤، جزء ١. بتصرف.



العمل البشري حيث يستحيل على أحد من البشر أن يأتي بمثلها.
ثانياً: أن تخرق العادة. فهي بهذا الشرط تخرج عن نطاق ما اعتاد عليه البشر فتمهرهم
فيخضعون لها.
ثالثاً: أن يستشهد بها مدعي الرسالة على الله -عَزَّوَجَلَّ- بمعنى أن تكون للتدليل على قدرة
الله ووحدانيته.
رابعاً: أن تقع على وفق دعوى المتحدي بها، ولذلك هو يتحدى بها إثباتاً لصحة دعواه.
خامساً: ألا يأتي أحد بمثلها على وجه المعارضة. بهذه الشروط الخمسة التي وضعها
القرطبي تتضح لدينا صورة المعجزة^(١).



(١) الجامع لأحكام القرآن المؤلف: أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي تحقيق: أحمد
البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤
م عدد الأجزاء: ٢٠ ج ١ ص ٦٩-٧٠



المطلب الثاني النظم

النظم في اللغة: هو التأليف، ونظمه نظماً ونظاماً ونظمه فانتظم وتنظم ونظمت اللؤلؤ أي جمعته في السلك... وكل شيء قرنته بآخر أو ضممت بعضه إلى بعض فقد نظمته. (١)

ونظم الكلام تأليف على الوجه الذي يحقق بلاغة اللفظ وجماله وذلك في حسن الترتيب واستيعاب المعنى وكماله وتمامه.

النظم في الاصطلاح:

يقول الجرجاني: هو تأليف الكلمات والجمل مترتبة المعاني متناسبة الدلالات، على حسب ما يقتضيه العقل، وقيل الألفاظ المترتبة المسوقة المعتبرة دلالاتها على ما يقتضيه العقل" (٢).

نخرج من ذلك:

أولاً: أن مفهوم النظم في اللغة والاصطلاح متطابق فهو يعني عملية تأليف الكلام على نمط خاص بجمع الألفاظ وضم بعضها إلى بعض، وقرن أول لها بآخر على نسق وترتيب خاص وفق قواعد اللغة والنحو وغيرها على الوجه الذي يحقق جمال الأسلوب وتمام المعنى.

ثانياً: أن النظم القرآني هو ما اشتملت عليه المصاحف صيغة ولغة لفظاً ويأتي على رأس ذلك أوجه الإعجاز في القرآن العظيم حيث أن الله تحدى البشر أجمعين ففجزت عن (الإتيان بمثله) منذ أن نزل على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى يومنا هذا. يقول الباقلاني: أنه (القرآن) بديع النظم، عجيب التأليف، مُتَنَاهٍ في البلاغة

(١) ابن منظور، لسان العرب مادة (نظم): ١٢/٥٧٠. دار صادر بيروت، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.

(٢) الجرجاني، التعريفات، مادة (نظم): ٢٤٢. تحقيق جملة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه^(١)

ويقول القاضي عياض: والوجه الثاني من إعجازه: صورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه، ووقفت مقاطع آية وانتهت فواصل كلماته إليه، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع أحد مماثلة شيء منه، بل حارت فيه عقولهم وتدلَّهت (تحيرت) دونه أحلامهم ولم يهتدوا إلى مثله في جنس كلامهم من نثر أو نظم أو سجع أو رجز أو شعر^(٢)

ويقول الزركشي: والذي عليه الجمهور والحدائق، أن القرآن العظيم هو الصحيح في نفسه، وأن التحدي به إنما وقع بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه، ووجه إعجازه أن الله أحاط بكل شيء علمًا، وأحاط بالكلام كله علمًا، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن علم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى ويتبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره، والبشر معهم الجهل والنسيان والذهول، ومعلوم بالضرورة أن أحدًا من البشر لا يحيط بذلك، وبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة^(٣)

النظم عند علماء التفسير وعلوم القرآن:

ينظر المفسرون إلى النظم على أنه وجه من وجوه إعجاز القرآن، يقول الباقلاني: وارتباط أي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، متسقة المباني؛ فإن السورة مهما تعددت قضاياها، فهي كلامٌ واحد، يتعلق آخره بأوله وأوله بآخره، ويتراعى بجملته إلى غرض واحد، وارتباط الجمل بعضها ببعض في القضية

(١) إعجاز القرآن " لأبي بكر الباقلاني ت (٤٠٣هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، نشر: دار المعارف، القاهرة (ص: ٣٥)

(٢) الشفا بتعريف حقوق ٣- المصطفى" للقاضي عياض ت (٥٤٤هـ)، دار الفكر بيروت، (١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م)، (١/ ٢٦٤) عند الكلام عن أوجه إعجاز القرآن.

(٣) البرهان في علوم القرآن المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه عدد الأجزاء: ٤ ج ٢ ص ٩٧.



الواحدة، بل والسور القرآنية أيضاً كذلك^(١).

ومعلوم أن العرب قد ملكوا زمام اللغة من جميع نواحيها فجاء القرآن معجز بنظمه فجزوا أن يأتوا بمثله حيث أنه خرج عن أصناف كلامهم وأساليب خطابهم، فهو خارج عن عاداتهم، ومعجز بهذه الخصوصية. وبناء على ذلك وجدنا احتفاء علماء التفسير وعلوم القرآن مع هذا التصور القرآني الخاص بالنظم وانتفعوا في تفاسيرهم اعتماداً على تععيد الإمام عبد القاهر الجرجاني لمسألة النظم حيث إنه أول من نظم مسأله، وتعقب أجناسه، وكشف عن أسرارها، ومناطق الجمال فيه. فذخرت كتبهم بالصور الرائعة التي تبين النظم وتكشف وجوه الإعجاز فيه.

نخرج من ذلك بما يلي:

أولاً: إن إعجاز النظم في اللفظ القرآني هو سر رباني من أسرار القرآن العظيم يشرق في النفس بهاءه ويملأ القلب بأنواره ويهز القلب ببيانه حيث يجعله في حالة من الاستسلام والإيمان وهذه خاصية بديعة من خصائص هذا القرآن الكريم؛ وسر من أسراره فكل من يقرأه أو يستمع إليه تتملكه الخشية ويفشاه الخشوع.

ثانياً: أن النظم في القرآن يكمن إعجازه في تفرد به حيث يستحيل تحريفه أو تبديله، وهذا ما لم يتوافر في الكتب السماوية الأخرى؛ لأنها لم تكن معجزة بلفظها، ولذلك سهل على البشر تحريفها وتبديلها.



(١) إعجاز القرآن المؤلف: أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (ت ٤٠٣هـ) المحقق: السيد أحمد صقر الناشر: دار المعارف - مصر الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م ص: ٣٥ بتصرف.



المطلب الثالث القرآن بين السورة والآية

أولاً: تعريف السورة لغة واصطلاحاً:

السورة اسم مشتق وهي إما أن تكون من (السُّور) وهو ما بقي في الإناء من الشراب، بإبدال الهمزة واوًا، وتكون سميت سورة لأنها قطعة من القرآن، أو من (السُّور)، وهو حائط المدينة الذي يحيط بالبيوت، قال جرير:

سُورُ المدينةِ والأجبالُ الخشَّعُ لما أتى خبرُ الرُّبَيْرِ تواضعتُ

وبهذا سميت سورة لإحاطتها بأياتها، واجتماعها كاجتماع البيوت بالسُّور وهو الحائط، يقال سَوَّرَ يسوِّر، تسويرًا، فهو مُسوِّر، والمفعول مُسوَّر سَوَّرَ الحائط: تسوَّره؛ علاه وتسَلَّقه سَوَّرَ المكانَ: أحاطه بسوِّرٍ يقال سورت البيت أي أحاطه بسور من جميع جوانبه.

والسور: جمع سورة: وهي كل منزلة من البناء، ومنه الواحدة من سور القرآن الكريم وعددها ١١٤ سورة^(١)، يقول القرطبي: وسورة القرآن، لأنها منزلة بعد منزلة مقطوعة عن الأخرى، والجمع: سور (بفتح الواو)، ويجوز أن يجمع على: "سورات" بسكون الواو وفتحها والسورة هي الإبانة لها من سورة أخرى وانفصالها عنها، وسميت بذلك لأنه يرتفع فيها من منزلة إلى منزلة.^(٢)

المعنى في الاصطلاح:

السورة: الطائفة المترجمة توقيفًا؛ أي المسماة باسم خاص بتوقيف من النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؛ أو هي: طائفة من آيات القرآن جمعت وضم بعضها إلى بعض حتى بلغت في الطول المقدار الذي أراده الله تعالى لها.^(٣)

(١) لسان العرب ج ٣ ص ٢١٤٧

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ١، ص ٤٧-٤٨

(٣) المدخل لدراسة القرآن الكريم د. محمد بن محمد ابو شهبة مكتبة السنة ط ٢ سنة ١٩٩٢ ص ٢٨٥

نخرج من ذلك أن السّورة القرآنية هي ذلك البناء المتناسق المتماسك ذو الوحدة الواحدة المسبوكة بإحكام، المحبوكة في نظمها فهي من لدن حكيم حميد ولسورة بآياتها كنظم لؤلؤي بديع يشع نورا من جميع أجزاءه وجوانبه فلو اطلعنا على أي سورة من سور القرآن العظيم سنجد أن إعجازها النظمي فريدا في موضوعه فريدا في معانيه عظيما في نظمه اللفظي والبياني. فسبحان من هذا كلامه.

ثانياً: تعريف الآية لغة واصطلاحاً:

اختلف في اشتقاق لفظ آية ف قيل اشتقت من (أَيّ): فإنّها التي تبين وتوضح أيّاً من أيّ: أي شيئاً من شيء، وقيل إن اشتقاقها من التأيّ، الذي هو التثبيت والإقامة، وأيضا قيل من (أوى إليه) الذي يدل على التجمع، فمن جعلها من (أوي) فموضع العين عنده ياء، ومن جعلها من أوى فموضع العين عنده واو^(١). يقول الفيروز أبادي: وحقيقة الآية أنّها كلّ شيء ظاهر هو ملازمٌ لشيء لا يظهر ظهوره، فمق أدرك مُدرك الظاهر منهما، علم أنه أدرك الآخر الذي لم يدركه بذاته، إذ كان حكمهما سواءً، وذلك ظاهر في المحسوسات والمعقولات، فمن علم بملازمة العلم للطريق المنهج، ثم وجد العلم - علم أنه وجد الطريق، وكذا إذا علم شيئاً مصنوعاً علم أنه لا بدّ له من صانع^(٢).

وبالتالي فمعنى الآية في اللغة على ثلاثة معاني:

الأول: الآية: العلامة، يقول تعالى: (إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ) (البقرة: ٢٤٨) يقول صاحب الوسيط: إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَي علامة ملكه^(٣).

الثاني: الآية الأمر العجيب، يقول تعالى: (وَجَعَلْنَا آيَنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً) (المؤمنون: ٥٠) أي معجزة وهذا من الأمور العجيبة أن تنجب مريم دون رجل ومن هنا كانت معجزة تخليقه دالة على قدرة الله وصدق رسالته. يقول صاحب التحرير والتنوير وتنكير {آية} للتعظيم لأنها آية تحتوي على آيات. ولما كان مجموعها دالاً على صدق عيسى في

(١) المفردات في غريب القرآن ص ٣٣

(٢) بصائر ذوي التمييز (٦٣/٢) ..

(٣) تفسير الوسيط ج ١ ص ٥٦٨



رسالته جعل مجموعها آية عظيمة على صدقه كما علمت^(١).

الثالث: آية الرجل: شخصه، وتقول: خرج القوم بأيّهم، أي: بجماعتهم، ومنه آية القرآن؛ لأنّها جماعة الحروف^(٢).

يقول ابن منظور: والآية من التنزيل، ومن آيات القرآن العزيز، قال أبو بكر: سميت الآية من القرآن آية؛ لأنّها علامة لانقطاع كلام من كلام. ويقال: سميت الآية آية لأنّها جماعة من حروف القرآن^(٣).

والآية في الاصطلاح:

نقل التهانوي عن جامع الرموز أن الآية هي: ما تبين أوله وآخره توقيفاً من طائفة من كلامه تعالى بلا اسم. وقوله بلا اسم احترازاً عن السورة حيث إنها وحدة بناء السورة. قال الجعبري: حدّ الآية قرآن مركب من جمل، ولو تقديراً، ذو مبدأ ومقطع، مندرج في سورة^(٤).

وقال بعضهم: الآية طائفة من حروف القرآن علم بالتوقيف انقطاعها معنى عن الكلام الذي بعدها في أول القرآن، وعن الكلام الذي قبلها في آخر القرآن، وعما قبلها وما بعدها في غيرها غير مشتمل على مثل ذلك، وبهذا القيد خرجت السورة؛ لأنّها تشتمل على آيات، والآية لا تشتمل على آية أصلاً^(٥).

والصحيح أن الآية إنّما تُعلم بتوقيف من الشارع، كعرفة السور قال الزمخشري: الآيات علم توقيفي، لا مجال للقياس فيه، ولذلك عدوا {الم} آية حيث

(١) التحرير والتنوير ج ١٨ ص ٦٧

(٢) مجمل اللغة لابن فارس المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ) دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الثانية -

١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م عدد الصفحات: ٩٤٤ ج ١ ص ١٠٦

(٣) لسان العرب ج ١٤ ص ٦٤

(٤) المصدر السابق ج ١ ص ١٨٥. بتصرف.

(٥) البرهان في علوم القرآن (١/٢٦٦-٢٦٧)



وقعت، ولم يعدوا {المر} ^(١).

نخرج من ذلك بما يلي:

أن الآية هي تلك الوحدة التعبيرية المتناسقة ألفاظها المتكاملة في معناها المعجزة في نظمها المتحددة في تعبيرها ومعناها فعندما نستعرض أي آية من الكتاب العزيز ستجد تناغم الحرف الذي هو وحدة بناء اللفظ مع لفظه بشكل ماهر وستجد اللفظ الذي هو وحدة بناء الآية المباركة متناغم ومتناسق مع آيته بشكل دقيق معجز يأخذ بمجامع قلبك وعقلك.



(١) الإتقان في علوم القرآن المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م عدد الأجزاء: ٤



المبحث الثاني

الآية مكانتها في نظم السورة المباركة وبين نظمها الذاتي

في هذا المبحث نتناول الجانب الإعجازي للآية كونها وحدة واحدة في نظمها يكمن في كونها قرآن مركب من جمل، ولو تقديراً، ذو مبدأ ومقطع، مندرج في سياق مقطعي يتناول موضوع معين الذي بدوره يشكل جزءاً من موضوع هو موضوع السورة.

فالمتتبع للآية بنظمها يجد أن لها أول ولها آخر ولها موضوع مرتبط بما فيها وما بعدها في إطار موضوع عام يحكمه سياق محدد وقد تكون بداية موضوع ذا سياق معين كما قد تكون خاتمة موضوع يفصلها عما بعدها من الآيات التي تليها. سنفرد لكل حالة من هذه الحالات مطلباً خاصاً به كما يلي:

المطلب الأول: كون الآية وحدة واحدة في نظمها.

المطلب الثاني: كون الآية جزء من موضوع.

المطلب الثالث: كون الآية صدر لموضوع معين.

المطلب الرابع: كون الآية خاتمة موضوع.





المطلب الأول

كون الآية وحدة واحدة في نظمها

علمنا أن الآية طائفة من القرآن، منقطعة في نظمها عما قبلها وما بعدها وفي الوقت نفسه هي كحبة لؤلؤ في عقد يمثل السياق الموضوعي الذي يتكلم عنه المقطع القرآني في هذا المطلب نتكلم عن هذا النظم المستقل ذو الوحدة الواحدة وأثره على الارتباط الوثيق بشقيقاتها وتناسقه وتناغمه معها يقول تعالى: (إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ) (البقرة: ١٦٥) هنا في هذه الآية المباركة تصوير دقيق لحال هؤلاء الرؤساء المتبوعين حال تبرأهم من الذين اتبعوهم في الدنيا يقول صاحب الوسيط: والمعنى: واذكر أيها العاقل يوم تنصل فيه الرؤساء من مرءوسهم، والاتباع من متبوعهم حال رؤيتهم جميعاً للعذاب وأسبابه ومقدماته وما أعدلهم من شقاء وآلام، وقد ترتب على كل ذلك أن تقطع ما بين الرؤساء والأذنان من روابط كانوا يتواصلون بها في الدنيا، وصار كل فريق منهم يلعن الآخر ويتبرأ منه^(١).

في ظلال هذا المعنى سنعيش مع الآية من عدة وجوه تتمثل فيما يلي:

أولاً: كون الآية المباركة وحدة موضوعية واحدة فهي تتكلم عن حال المتبوعين وهم أحد الفريقين الذين ظلموا حيث إنهم هم الرؤساء الذين هم أئمة الكفر الذين يحلون ويحرمون ما لم يأذن به الله حيث إنهم خططوا ونفذوا لكل ما يخالف أوامر الله ولم يكتفوا بذلك بل أمروا أتباعهم وأشياعهم من الضعفاء والدهماء والمغفلين أتباعهم الذين يتلقون جميع أقوالهم بالطاعة والخضوع بدون تدبر أو تعقل، وقد جاء نظم الآية المباركة موافقا لهذه الوحدة الموضوعية فقد أتى بلفظ (تَبَرَّأَ) الذي يعني البراءة المطلقة يقول صاحب التحرير والتنوير: وَتَبَرَّأَ من التبرؤ وهو التباعد من الأمر الذي من شأن قُرْبِهِ أن يكون مضرراً ولذلك يقال تبارأ إذا أبعد كلُّ الآخر من تبعه محققة أو متوقعة^(٢). وجاء بلفظ (اتَّبَعُوا) بصيغة البناء إلى المجهول للدلالة على الذين ضلوا

(١) تفسير الوسيط ج ١ ص ٣٣٩

(٢) التحرير والتنوير ج ٢ ص ٩٧

المشركين ونصبوا لهم الأنصاب وقدموا إليهم الوعود والإغراءات لكي يتبعوهم يقول صاحب التحرير والتنوير: فقد أشعر قوله {آتَّبِعُوا} أنهم كانوا يدعون إلى متابعتهم، وأيد ذلك قوله بعده {فنتبراً منهم كما تبرءوا منا} أي نجازيهم على إخلافهم. والذين {آتَّبِعُوا} هم الذين وقع عليهم الفعل ومعنى براءة هؤلاء الرؤساء منهم وتنصلهم من مواعيد نفعهم في الآخرة الذي وعدوهم في الدنيا والشفاعة فيهم، وصرفهم عن الالتحاق بهم حين هرعوا إليهم هو الخسران بعينه. ثم أتى بمسوغات هذا التبرؤ وهما أمران:

الأول: يكمن في قوله تعالى: {وَرَأَوْا الْعَذَابَ} جملة حالية والمعنى أنهم تبرءوا حال رؤيتهم العذاب، ومعنى رؤيتهم إياه أنهم رأوا أسبابه وعلموا أنه أعد للذين كانوا سببا في إضلال الناس وغوايتهم لذلك جعلوا يتباعدون من أتباعهم. يقول صاحب التحرير والتنوير: فموقع الحال هنا حسن جداً وهي مغنية عن الاستئناف الذي يقتضيه المقام لأن السامع يتساءل عن موجب هذا التبرؤ^(١).

الثاني: في قوله تعالى: {وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ} والتقطع هو الانقطاع الشديد والتمزق الذي لا يرجى إصلاحه. ومعناه تمزق كل الصلات التي كانوا يتواصلون بها في الدنيا من رحم وغيره والأسباب جمع سبب وأصل السبب ما يوصل به إلى الشيء من ذريعة أو قرابة أو مودة.

نخرج من ذلك بما يلي:

أولاً: أن تبرأ المتبوعون من التابعين أمر حتمي في الآخرة.

ثانياً: أن جميع الصلات التي كانت تحكم العلاقة بين التابع والمتبوع في الدنيا تتمزق وتتقطع لأنها كانت لغير الله.

ثالثاً: تبين الآية ذلك الخسران الذي تلازمه الحسرة بعد أن اضمحلت أعمالهم، وتلاشت أحوالهم، وتبين لهم من اتبعوهم كانوا أنذال كاذبين.

رابعاً: أن التابعين والمتبوعون سواء في جهنم خالدون فيها لأنهم اجتمعوا على باطل.

(١) المصدر السابق



المطلب الثاني كون الآية جزء من موضوع

بعد أن تكلمنا عن الآية كوحدة واحدة ذات شخصية مستقلة فريدة في نظمها نتكلم عنها كجزء متناسق مع سياقها الموضوعي يقول تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ * إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّنَا كَرِهْنَا لَنَكْرَهُ فَتَتَّبَعُوا مِنهٖمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يَرِيهٖمُ اللَّهُ أَعْمَلِهِمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ يَوْمَ هُمْ يَبْخُرُونَ مِّنَ النَّارِ) (البقرة: ١٦٤-١٦٦) فيها هي تشكل مع شقيقاتها نظما وحدا موضوعيا وتتمثل هذه الوحدة النظمية فيما يلي:

أولاً: علاقتها مع الآية التي سبقتها: جاءت الآية السابقة مبينة لما قبلها بصلة موثوقة يقول السعدي: ما أحسن اتصال هذه الآية بما قبلها، فإنه تعالى، لما بين وحدانيته وأدلتها القاطعة، وبراهينها الساطعة الموصلة إلى علم اليقين، المزملة لكل شك، ذكر هنا أن (مِنَ النَّاسِ) مع هذا البيان التام من يتخذ من المخلوقين أندادا لله فبئس الصنيع صنيعهم^(١). ففي الآية السابقة بيان للتوحيد بأدلتها القاطعة وبراهينه الناجعة وبذلك تم إقامة الحجة إلا أن هناك فريق من الناس تجده معرضا عن الله معاندا لله ولمنجه بعيدا عن تدبر آياته والتفكر في مخلوقاته ومن ثم فهو مستحق لغضب الله عذابه. وإذا تتبعنا بينان الآية المباركة التي سبقت هذه الآية الكريمة نجدها قد استخدمت أدوات بيانية رصينة دقيقة توصل للغاية بأسهل الطرق وأيسرها، فعبرت بذكر هنا أن (مِنَ النَّاسِ) لتدل أن هناك صنف من الناس لا يعقل تلك الآيات التي دلت على وحدانية الله وقدرته، وبلغت بهم الجهالة أنهم يخضعون لبعض المخلوقات خضوعهم لله فجعلوا من هذه المخلوقات أندادا له سبحانه يقول صاحب الوسيط الأنداد: جمع ند، وهو مثل الشيء الذي يضاهه وينافره ويتباعد عنه^(٢).

(١) تفسير السعدي ج ١ ص ٢٩

(٢) تفسير الوسيط ج ١ ص ٢٣٦

واستعمال كلمة أنداد فيه تعبير لما وصل إليه هؤلاء من الجهل فما أبعدهم عن الرشد وهم يعظّمون أصناما لا تضر ولا تنفع وما أجمل هذا الانتقال لحالة أهل الإيمان أولي الأحلام والنهى الذين استجابوا لداعي التوحيد فصرفوا محبتهم لله فهم أشد حبا له سبحانه والتصريح بالأشدية في قوله: (أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ) دليل على أنهم وصلوا إلى منتهى الحب يقول القرطبي وهم أشد حبا لله لأن الله تعالى أحبهم أولا ثم أحبوه. ومن شهد له محبوبه بالمحبة كانت محبته أتم، قال الله تعالى: يحبهم ويحبونه^(١).

ففي هذا المقام تضعنا الآية أمام صورتين متناقضتين صورة لأهل الشرك الذين اتخذوا أندادا من دون الله وصورة المؤمنين الذين وصلوا بحبهم لله إلى منتهى الحب ثم بين مآل هؤلاء الذين اتخذوا من دون الله أندادا فقال: (وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ) {ولو يرى الذين ظلموا} يقول البغوي: قرأ نافع وابن عامر ويعقوب (ولو ترى) بالتاء وقرأ الآخرون بالياء فمن قرأ بالتاء: معناه ولو ترى يا محمد الذين ظلموا أنفسهم من شدة العذاب لرأيت أمراً عظيماً ومن قرأ بالياء: ولو يرى أولئك المشركون حين يشاهدون العذاب المعد لهم يوم القيامة لرأوا ما لا يوصف من الهول والفضاعة، ووقعوا فيما لا يكاد يوصف من الحسرة والندامة^(٢). وهذه مقدمة بليغة لما سيأتي في الآية القادمة من التبرأ من هؤلاء ممن اتبعوهم وساروا على نهجهم.

ثانياً: علاقتها بالتي تليها: نقول لما استقر التابعون والمتبوعون في النار واشتدت حسرة التابعون حينئذ يتمنى التابعون أن يردوا إلى الدنيا فيتبرأوا من متبوعهم، بأن يتركوا الشرك بالله، ويقبلوا على إخلاص العمل لله، وهميات، فات الأمر، وليس الوقت وقت إمهال وإنظار، ومع هذا، فهم كذبة، فلو ردوا لعادوا لما نهوا عنه، يتبين ذلك من خلال لفظ (كَرَّةً) والكرة: تعني الرجعة والعودة. وأيضا جاء بلفظ (لو) للتمني. وقوله (فَتَتَبَرَّأَ) ليكون التبرؤ مقابل التبرؤ يقول صاحب الوسيط: وقوله فَتَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ جواب التمني الذي أشربته لو، والكاف في قوله كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا في محل نصب نعت لمصدر

(١) تفسير القرطبي ج ٢ ص ٢٠٤ بتصرف

(٢) تفسير البغوي ج ١ ص ١٧٩



محذوف أي تبرأ مثل تبرئهم^(١). ثم يأتي التذييل الدقيق المناسب لحال المشركين تابعين ومتبوعين في قوله تعالى (كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ) وَحَسَرَاتٍ جمع حسرة، وهي أشد درجات الندم والغم على ما فات لأن الله قد حكم عليهم بقوله تعالى: (وَمَا هُمْ بِخُرْجِينَ مِنَ النَّارِ) أي أن الله تعالى قد حكم وحكمه نافذ فلا راد لحكمه أنهم خالدون مخلصين في النار.

نخرج من ذلك بما يلي:

بعد هذا العرض نجد أن هذه الآيات المباركات تصور لنا حال هؤلاء الذين اتخذوا من دون الله أندادا سواء كانوا من المتبوعين أو تابعيهم الذين ساروا خلفهم دون أن يحكموا عقولهم وحكت صورة دقيقة لما يدور بين التابعين والمتبوعين يوم القيامة من تنصل وتحسر وتخاصم بتلك الطريقة المؤثرة، حتى لكأنك أمام مشهد مجسم، ترى فصوله من خلال مشاهد شاخصة حاضرة. وذلك لون من ألوان بلاغة القرآن يتجلى فيها النظم البديع في عرضه للحقائق، حتى تأخذ سبيلها إلى النفوس الكريمة، وتؤتي ثمارها الطيبة في القلوب السليمة.



(١) تفسير الوسيط ج ١ ص ٣٤٠



المطلب الثالث

كون الآية صدر لموضوع معين

يقول تعالى: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَهُ الْخَلْقَ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (الأعراف: ٥٤) جاءت الآيات السابقة تهيئة للقلوب والأسماع لتلقي الحجة الدامغة التي تملأ القلوب إيماناً و يقيناً أن الله واحد لا شريك له وهو القادر الذي لا حدود لقدرته ولا سلطان عليه ولا معقب لحكمه يقول صاحب التحرير والتنوير: استؤنف بجملة {إن ربكم الله} الآية، استئنفاً ابتدائياً عاد به التذكير إلى صدر السورة في قوله: (ولا تتبعوا من دونه أولياء) (الأعراف: ٣) فكان ما في صدر السورة بمنزلة المطلوب المنطقي، وكان ما بعده بمنزلة البرهان، وكان قوله: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ) بمنزلة النتيجة للبرهان، والنتيجة مساوية للمطلوب إلا أنها تؤخذ أوضح وأشد تفصيلاً^(١). ومن حكيمة النظم وإحكامه أن يأتي بقوله (إن ربكم الله) حيث جمعت بين الربوبية والألوهية فبدأ بحرف إن للتأكيد فالله هو الرب المالك المعبود المتصرف المدبر الهادي والرب هو الله الذي لا معبود بحق إلا هو - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -. وقوله سبحانه (ربكم) بصيغة الجمع فيه احتمالان:

الأول: أن يكون الخطاب للمشركين رداً على إنكارهم انفراد الله بالربوبية.

الثاني: أن يكون الخطاب للمؤمنين وهذا يزيد المؤمنين إيماناً و يقيناً وبصيرة بعضهم مجد الله وسعة ملكه، ويزيدهم يقيناً بدلائل قدرته.

والأولى عندي أن يكون الخطاب للمؤمنين لقوة الإشارة لذلك يقوله صاحب التحرير والتنوير: والخطاب صالحاً لتناول المسلمين، لصلاحية ضمير الخطاب لذلك، ولا يكون حرف (إن) بالنسبة إليهم سدى، لأنه يفيد الاهتمام بالخبر، ولأن بعض ما اشتمل عليه (ما) هو بالمؤمنين أعلق مثل (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية) (الأعراف: ٥٥)

(١) تفسير التحرير والتنوير ج ٨ ص ١٥٩

وقوله: (إن رحمت الله قريب من المحسنين) (الأعراف: ٥٦) ^(١) (٢) وقوله: (الَّذِي خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ) صفة لاسم الجلالة، والصلة مؤذنة بالإيماء إلى وجه بناء الخبر
المتقدم، وهو سبحانه الذي أنشأ السموات والأرض على غير مثال سابق فهو سبحانه
المتفرد بقدرة الإيجاد وهذا يكفهم دليلاً على انفراده بالإلهية، كما تقدم عند قوله
تعالى: (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا
بربهم يعدلون) (الأنعام: ١). وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون خلق السموات
والأرض مدرجا، وألا يكون دفعة، لأنه جعل العوالم متولِّداً بعضها من بعض، لتكون
أتقن صنعا مما لو خلقت دفعة، وليكون هذا الخلق مظهرًا لصفتي علم الله تعالى
وقدرته، فالقدرة صالحة لخلقها دفعة، لكن العلم والحكمة اقتضيا هذا التدرج، وكانت
تلك المدة أقل زمن يحصل فيه المراد من التولّد بعظيم القدرة. كما أن في ذلك رسالة إلى
الخلق أن يكون التدرج والحكمة في أفعالهم فالعجلة من الشيطان كما جاء في الحديث.

وقد اختلف في اليوم هل هو يوم من أيام الدنيا يبدأ مع ظهور الشمس في المشرق
إلى ظهورها في ذلك المكان ثانية أو هو يوم من أيام الله تعالى الذي هو مدة ألف سنة،
وعليه فستة أيام من هذه الأيام تعادل ستة آلاف سنة يقول تعالى: (وإن يوماً عند ربك
كألف سنة مما تعدون) (الحج: ٤٧) أو هو الوقت أي في ستة أوقات، فإنّ اليوم يطلق
على الوقت كما في قوله تعالى: (ومن يولهم يومئذ دبره) [الأنفال: ١٦] أي حين إذ يلقاتهم
زحفاً وأياً ما كان فالأيام مراد بها مقادير لا الأيام التي واحدها يوم الذي هو من طلوع
الشمس إلى غروبها إذ لم تكن شمس في بعض تلك المدة، والتعمق في البحث في هذا
خروج عن غرض القرآن ^(٢). والاستواء حقيقته يعني الاعتدال، وقد ورد الاستواء على
معان اشترك لفظه فيها يقول صاحب الوسيط: جاء الاستواء بمعنى الاستقرار، ومنه
قوله تعالى: (اسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ) وبمعنى القصد ومنه قوله تعالى: (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى
السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ) وكل من فرغ من أمر وقصد لغيره فقد استوى له وإليه. والذي
يلاحظ من كلام أهل اللغة والتفسير في جملته أنه حقيقة في الارتفاع والاعتلاء ويظهر

(١) المصدر السابق

(٢) تفسير التحرير والتنوير ج ٨ ص ١٦٢ بتصريف شديد

أن لهذا الفعل خصوصية في كلام العرب مما جعله الأجدَر بالدلالة على المعنى المراد تبليغُه مجملاً مما يليق بصفات الله ويقرب إلى الأفهام عظمته سبحانه. ونلخص القول في الاستواء على أنه معلوم والكيف مجهول يقول صاحب الوسيط: ذهب سلف الأمة إلى أن الاستواء صفة الله- تعالى- بلا كيف ولا انحصار ولا تشبيه ولا تمثيل لاستحالة اتصافه- سبحانه- بصفات المحدثين، ولوجوب تزيمه عما لا يليق به «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير» وأنه يجب الإيمان بها كما وردت وتفويض العلم بحقيقتها إليه سبحانه^(١). ومن حكمته سبحانه أن يأتي التصريف والتدبير بعد الاستواء ففي ذلك بيان على سلاسة النظم هذه الآية يقول سبحانه: (يُغْشَى اللَّيْلَ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا) يقول صاحب التحرير والتنوير: وجملة (يغشى الليل الليل النهار) هنا في موضع الحال من اسم الجلالة، ذكر به شيء من عموم تدبيره تعالى وتصرفه المضمّن في الاستواء على العرش، وتبنيه على المقصود من الاستواء^(٢). فمن عظيم قدرته وبديع صنعه وكمال رحمته بخلقه أن يغشى الليل النهار وأن يغشى النهار الليل ففي ذلك استقامة لأحوال الخلق في هذه الحياة وقوله تعالى: (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ) بيان لقدرته وسطوته وسلطانه فالخلق له سبحانه لأنه خلقهم وله الأمر، يأمر فيهم بما يشاء. (تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) تقول صاحب التحرير والتنوير: وجملة (تبارك الله رب العالمين) تذييل محكم للتذكير بفضل الله على الناس، وبنافع تصرفاته، عقب ما أجرى من إخبار عن عظيم قدرته وسعة علمه وإتقان صنعه^(٣).

نخرج من ذلك بما يلي:

لقد شكلت الآية المباركة بحسن نظمها وعظيم بيانها وحرصانة أسلوبها مفهوما شاملا كاملا متكاملا عن الرب الواحد الأحد الذي يربي خلقه بحكمته الذي باسمه يتبرك ويتيمن وهو الإله الخالق على غير مثال وهو المستحق للعادة دون سواه ولما ذكر من عظمته وجلاله ما يدل ذوي الأبواب على أنه وحده، المعبود المقصود في الحوائج كلها

(١) تفسير الوسيط ج ٥ ص ٢٨٤

(٢) تفسير التحرير والتنوير ج ٨ ص ١٦٤ بتصرف

(٣) تفسير التحرير والتنوير ج ٨ ص ١٦٨



أمر بما يترتب على ذلك، فقال: (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) فما أحسنه من نظم وما أحسنه من بيان فسحان من هذا كلامه.





المطلب الرابع كون الآية خاتمة موضوع

في هذا المطلب نتحدث عن كون الآية الكريمة خاتمة موضوع وقد وقع اختياري على آخر آية من سورة يس لأجمع فيها بين الحسنين:

الأول: كونها خاتمة آخر موضوع من مواضيع السورة. وهو يتكلم عن البعث.

الثاني: كونها خاتمة لسورة يس.

فأما بالنسبة للموضوع الأول: فإنه تعالى هو المالك الملك فأما الملك فكل موجود في ملكه تحت تصرفه وأمره وتدييره وسلطانه قهره وهو الخالق الذي بيده ملكوت كل شيء وهو القادر على كل شيء ولا يعجزه شيء الأمر أمره والتدبير تدييره ولا يكون في ملكه إلا ما يشاء وأما المالك فكل شيء بأمره وتحت تصرفه فكل ما سكن في العالم العلوي والسفلي ملك له، وعبيد مسخرون ومدبرون، يتصرف فيهم بأقداره الحكيمية، وأحكامه الشرعية، وأحكامه الجزائية ومن ثم إعادته إياهم بعد موتهم، لينفذ فيهم حكم الجزاء، من تمام ملكه، وعظيم جبروته.

وأما الأمر الثاني: وهو كونها ختام صورة يس فكانت خير ختام حيث إن هذه السورة قد استفتحت بذكر القرآن والتأكيد على النبوات فأكدت على صدق نبوته - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ورسالته للعالمين على العموم وللعرب على وجه الخصوص ثم تحدثت عن نموذج لصاحب الدعوة الذي قبض نفسه لها وكيف أن الله شرفه بالشهادة على أيدي هؤلاء الطغاة الذين دعاهم بالحسن إلى الله ثم تكلمت عن قدرته ممثلة في عظيم صنعته تتابع الليل والنهار وتسخير الشمس والقمر وعظيم نعمه ومننه على الخلق ثم تكلمت عن البعث والنشور فسبحان كم بيده ملكوت كل شيء فهو المبدأ المعيد الفعال لما يريد من هنا نقول جاءت الآية كحبة لؤلؤ كي تختم عقد صغير داخل عقد كبير فنالت شرفين عظيمين بهذا الختام العظيم. يقول تعالى: (فَسُبْحٰنَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (يس: ٨٣) بدأ نظم الآية بالتنزيه الممثل في قوله تعالى: (فَسُبْحٰنَ) وهي توحى بتنزيه الله تعالى وتقديسه عن العجز والشريك، كما توحى بعظيم قدرة



سبحانه وتفرده بالإلهية وأنه سيعيدكم بعد الموت فهذا أكبر مسوغ لتنزيهه عن أقوال أهل الشرك في شأنه المفضية إلى نقص عظمته فهو سبحانه المالك لكل شيء، المتصرف في شؤون خلقه بلا منازع أو ممانع، وبعد هذا التنزيه يأتي بدلائل قدرته في كل شيء من مخلوقاته، بقوله سبحانه (الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ) فهو سبحانه لا يعجزه شيء، ولا يخفى على علمه شيء، ولا يحول دون قدرته شيء أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ. (وَالِيهِ تُرْجَعُونَ) الذي إليه المرجع والمآب، عن كل ما يقوله الكافرون من عدم قدرته على إحياء الموتى.

يقول صاحب التحرير والتنوير: والمعنى: قد اتضح أنكم صائرون إليه غير خارجين من قبضة ملكه وذلك بإعادة خلقكم بعد الموت فما أعظمه من ختام شامل لكل ما جاء في السورة وفي القلب منها موضوع البعث والنشور.





المبحث الثالث

نظم الآية ومناسبتة لطول الآية وقصرها

في هذا المبحث أتناول الجانب الإعجازي لنظم الآية كونها وحدة واحدة في نظمها يكمن في كونها قرآن مركب من جمل، ولو تقديراً، ذو مبدأ ومقطع، ومناسبة ذلك لطولها الآية وقصرها. فهناك الآيات الطويلة وهناك الآية المتوسطة وهناك الآية القصيرة وهناك الآية ذات الكلمتين وهناك الآية ذات الكلمة سنفرد لكل نوع من هذه الأنواع مطلباً خاصاً به كما يلي:

المطلب الأول: الآية الطويلة.

المطلب الثاني: الآية المتوسطة.

المطلب الثالث: الآية القصيرة.

المطلب الرابع: الآية القصيرة جداً.





المطلب الأول الآية الطويلة

نعرض لهذا النوع من خلال أعظم آية في كتاب الله ألا وهي آية الكرسي وإن كانت ليست أطول آية في كتاب الله ولكنها من الآيات الطوال ولهذا الاختيار أسباب نلخصها فيما يلي:

أولاً: أنها أفضل آية في كتاب الله فقد روي عن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في فضلها وبيان مكانتها عَنْ عَلِيٍّ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ نَبِيَّكُمْ عَلَى أَعْوَادِ الْمَنْبَرِ وَهُوَ يَقُولُ: (مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا الْمَوْتُ)،^(١)

ثانياً: التماساً لبركة الآية الكريمة فما التمس رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بركته نسلم نحن تسليم المتبع المقتدي ونلتمس بركته.

ثالثاً: اجتماع الإعجاز النظمي مع الموضوع والمبنى والمعنى في أعلى صوره في هذه الآية المباركة... يقول تعالى (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمُوتَ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) (البقرة: ٢٥٥) فمن المعلوم أن هذه الآية الكريمة أعظم آيات القرآن وأفضلها وأجلها. فأما العظمة ففي اشتمالها على اسم الله الأعظم فقد قال الإمام أحمد: عن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت: سمعت رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول في هاتين الآيتين: (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) و (الْم * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) (آل عمران: ١-٢) إن فيهما اسم الله الأعظم)^(٢)

وأما الأفضلية فهي سيدة أي القرآن على الإطلاق يقول ابن كثير: هذه آية

(١) صحيح الجامع المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت ١٤٢٠هـ) الناشر: المكتب الإسلامي عدد الأجزاء: ٢ رقم (٦٤٦٤)

(٢) صحيح الجامع الصفحة أو الرقم: ٩٧٩



الكرسي ولها شأن عظيم وأنها أفضل آية في كتاب الله فعن أبي هو ابن كعب أن النبي - - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - - سأله يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) (البقرة: ٢٥٥) قال: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وقال: وَاللَّهِ لِمَنْنِكَ الْعِلْمُ أبا المنذر).^(١)

ويمكن الإعجاز النظمي في تعانق ألفاظ هذه الآية في بناء متماسك حول موضوعها بما يجلى المعنى في أتم صورة يتمثل ذلك فيما يلي:

أولاً: بدأت الآية بإخباره تعالى عن نفسه الكريمة بأنه (الله لا إله إلا هو) فاسم الله عَلم على الذات الموصوفة بالصفات، ذاتيةً كانت، أو فعليةً وهو أوسع الأسماء معنى، وأشملها، فاسم الله لذات لها جميع صفات الكمال، ونعوت الجلال،، وسائر الكمال الذي يستحقه الله لذاته، فصفاته داخلة في مسمى اسمه، يقول صاحب التحرير والتنوير: وجيء باسم الذات هنا لأنه طريق في الدلالة على المسمى المنفرد بهذا الاسم، فإن العَلم أعرف المعارف لعدم احتياجه في الدلالة على مسمّاه إلى قرينة أو مَعونة لولا احتمال تعدد التسمية، فلما انتفى هذا الاحتمال في اسم الجلالة كان أعرف المعارف لا مَحالة^(٢) فهو سبحانه الذي لا معبود بحق سواه، فهو الإله الحق الذي تتعين أن تكون جميع أنواع العبادة والطاعة والتأله له تعالى، لكماله وكمال صفاته وعظيم نعمه، يقول ابن القيم: وأما الإله: فهو الجامع لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال، فيدخل في هذا الاسم جميع الأسماء الحسنى، ولهذا كان القول الصحيح: أن الله أصله الإله، كما هو قول سيبويه وجمهور أصحابه إلا من شذ منهم، وأن اسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى والصفات العلى^(٣).

(١) صحيح مسلم المؤلف: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة عدد الأجزاء: ٥ الصفحة أو الرقم:

(٢) تفسير التحرير والتنوير ج ٣ ص ١٧

(٣) بدائع الفوائد المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية الناشر:



ثانيًا: قوله: (الحي القيوم) يقول السعدي: هذان الاسمان الكريمان يدلان على سائر الأسماء الحسنى دلالة مطابقة وتضمنا ولزوما، فالحي من له الحياة الكاملة المستلزمة لجميع صفات الذات، كالسمع والبصر والعلم والقدرة، ونحو ذلك. والقيوم: هو الذي قام بنفسه وقام بغيره، وذلك مستلزم لجميع الأفعال التي اتصف بها رب العالمين من فعله ما يشاء من الاستواء والنزول والكلام والقول والخلق والرزق والإماتة والإحياء، وسائر أنواع التدبير^(١).

ثالثًا: من كمال حياته وقيوميته أنه (لا تأخذه سنة ولا نوم) يقول صاحب التحرير والتنوير: ونفي استيلاء السنة والنوم على الله تعالى تحقيق لكمال الحياة ودوام التدبير، وإثبات لكمال العلم؛ فحياة النائم في حالهما حياة ضعيفة، وهما يعوقان عن التدبير وعن العلم بما يحصل في وقت استيلائهما على الإحساس وهذا مستحيل في حق الله سبحانه^(٢).

رابعًا: ولما كان سبحانه الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم فهو المالك المعبود المتصرف ولذلك قال سبحانه: (له ما في السماوات وما في الأرض) فهذا تقرير لانفراده بالإلهية فجميع الموجودات مخلوقاته، وهي مملوكة له وتحت تديره وتصرفه سبحانه يقول الطبري: يعنى بذلك أنه لا تنبغي العبادة لشيء سواه، لأن المملوك إنما هو طوع يد مالكة، وليس له خدمة غيره إلا بأمره^(٣).

خامسًا: وكونه سبحانه له جميع ما في السموات والأرض وهو مالكة وخالقه، فلا ينبغي أن يعبد أحد من خلقه غيره لأنه لا ينبغي للعبد أن يعبد غير مالكة، ولا يطيع سوى مولاه. ولهذا قال: (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) أي: لا أحد يشفع عنده بدون إذنه، فالشفاعة كلها لله تعالى، يقول صاحب التحرير والتنوير والمعنى أنه سبحانه لا يشفع عنده أحد بحق وإدلال لأن المخلوقات كلها ملكه،

دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان عدد الأجزاء: ٤ ج ٢ ص ٢٤٩

(١) تفسير السعدي ج ١ ص ١١٠

(٢) تفسير التحرير والتنوير ج ٢ ص ١٩

(٣) تفسير الطبري ج ٥ ص ٣٩٥



ولكن يشفع عنده من أراد هو أن يُظهر كرامته عنده. فيأذنه بأن يشفع فيمن أراد هو العفو عنه^(١).

سادساً: وكونه المالك المتصرف فهذا يعني أنه المحيط بكل ما كان وبكل ما هو كائن علماً، لا يخفى عليه شيء منه. فما أعظمه من نظم وترتيب يقول تعالى: (يعلم ما بين أيديهم) يقول السعدي: والمعنى يعلم ما مضى من جميع الأمور (وما خلفهم) أي: ما يستقبل منها، فعلمه تعالى محيط بتفاصيل الأمور، متقدمها ومتأخرها، بالظواهر والبواطن، بالغيب والشهادة، والعباد ليس لهم من الأمر أو العلم شيء^(٢). وقوله (وسع كرسيه السماوات والأرض) وهذا يدل على كمال عظمته وسعة سلطانه، فإذا كانت هذه حالة الكرسي أنه يسع السماوات والأرض على عظمتها وعظمته من فيهما.

والكرسي ليس أكبر مخلوقات الله تعالى، فعن ابن مسعود رضي الله عن قال: بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام وبين كل سماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم^(٣) فسبحان من له العظمة العظيمة والكبرياء الجسيمة والقهر والغلبة لكل شيء.

نخرج من ذلك بما يلي:

أولاً: اشتملت هذه الآية على توحيد الإلهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء

(١) تفسير التحرير والتنوير ج ٣ ص ٢١

(٢) تفسير السعدي ج ١ ص ١١٠

(٣) صحيح ابن خزيمة المؤلف: إمام الأئمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري حقه وعلق عليه وخرج أحاديثه وقدم له: الدكتور: محمد مصطفى الأعظمي راجعه وحكم على بعض أحاديثه: العلامة: محمد ناصر الدين الألباني مميزة أحكامه عن حواشي المحقق بوضعها بين (قوسين) مذيلة بكلمة (ناصر)، وقد يقع بعض الخطأ في تنسيق ذلك؛ كما نبّه عليه المحقق في مقدمته ص ٣٢ - ٣٣ [وقد خلت هذه النسخة الإلكترونية من الحواشي فلتستدرك من المطبوع]

الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت عدد الأجزاء: ٤ كتاب التوحيد ص ١٠٥



والصفات، وعلى إحاطة ملكه وإحاطة علمه وسعة سلطانه وجلاله ومجده، وعظمته وكبريائه وعلوه على جميع مخلوقاته، فهذه الآية بمفردها عقيدة في أسماء الله وصفاته، متضمنة لجميع الأسماء الحسنى والصفات العلا. ثانيًا: وما لا يعلمه إلا هو، وفي عظمة هذه المخلوقات تحير الأفكار وتكل الأبصار، وتقلل الجبال وتكع عنها فحول الرجال، فكيف بعظمة خالقها ومبدعها، والذي أودع فيها من الحكم والأسرار ما أودع.





المطلب الثاني الآية المتوسطة

في هذا المطلب سنناقش مسألة نظم الآية مع موضوعها ممثلا في الآية المتوسطة في الطول وقد تجنبت المشهور من الآيات كآية الدين وآية الكرسي وجئت بهذه الآية من سورة المائدة يقول تعالى: (يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (المائدة: ٦) وهي آية ذات موضوع واحد وهو موضوع الوضوء أو ما يقوم مقامه وهو التيمم ولمَّا كان أفضل الطاعات بعد الإيمان الصَّلَاة، والصلاة لا تُمكن إلا بالطَّهارة، بدأ بالطَّهارة والمتمعن في الآية المباركة يجد التناغم التام بين الموضوع والنظم وحجم الآية ولمَّا كانت الصلاة هي أفضل الطاعات بعد الإيمان والصلاة لا تُمكن إلا بالطَّهارة، فقد جعل ذلك مناسبا لذكر الطَّهارة ممثلا في الوضوء وجاء نظم الآية بظلاله الوارفة ليلبس المعنى حلة قشبية مهيبة تتجلى فيها معاني الطاعة المتقيدة بالنص الشريف نجد ذلك في قوله تعالى: (إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ) أي: إذا أردتُم القيامَ إلى الصَّلَاةِ؛ ففيه: جواز التعبير عن إرادة الفعل بالفعل؛ لأن الفعل يوجدُ بقدرة الفاعل عليه وإرادته له، وهو قَصْدُهُ إليه. أيضا جاء بذكر الأعضاء المخصوصة بالغسل كالوجوه والمَرَافِقِ: وهي جمع مَرْفَق، وهو مَوْصِلُ الذِّرَاعِ في العَضُدِ وذكره دون بقية الذراع بعد ذلك جاء بالأعضاء المخصوصة بالمسح وهي الرؤوس والأرجل ثم أردف ذلك بقوله تعالى: (وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا) والمعنى: أي: وإن أصابتكم جنابةٌ فاغتسلوا قبل أن تقوموا إلى الصَّلَاةِ وقد سميت الجنابة بذلك؛ لكونها سببا لتجنب الصلاة. والغسل هنا للطَّهارة من الحدث الأكبر جاء المخاطب جماعة، والخبر بصيغة الإفراد؛ حيث لم يُقُل: (إن كنتم جُنُبِينَ)، بل قال: جُنُبًا؛ لأنَّ كلمة (جنب) في اللُّغة الفصحى يستوي فيها المفردُ والاثنتان والجماعةُ، وقوله سبحانه (فَاطَّهَّرُوا) تعني أمور كما يلي:

الأول: أن الغسل يشمل جميع البدن؛ حيث إنه لم يخص الأعضاء كما في الوضوء.

الثاني: أنه لا يشترط الترتيب في الغسل فالعبرة فيه تعميم البدن بالماء.

الثالث: أن الغسل من الجنابة تستباح به الصلاة، بدليل قوله تعالى: (وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا) ولم يذكر وضوءًا حتى لو لم ينو إلا رفع الحدث الأكبر، فإنه يُجزئه؛ لعموم الآية.

الغَائِطُ: هو كناية عن قضاء الحاجة؛ والغائط المطمئن من الأرض، وجعل كناية عن قضاء الحاجة؛ لأنهم كانوا إذا أرادوا قضاء الحاجة أتوا غائطًا من الأرض، ففعلوا ذلك فيه؛ فقيل لكلٍ من قضى حاجته: مُتَغَوِّطٌ، وأُطِيقَ الغائطُ على العذرة نفسها. وأصل (غوط): يدلُّ على اطمئنانٍ وغورٍ.

وما أعظم نظم الآية وحسن نسقها أن تجمع بين حالات عدم القدرة على استعمال الماء في قوله تعالى: (وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ). والمعنى: إن حصلت إحدى الحالات السابق ذكرها- كالسفر- ففقدتم الماء، فعليكم بقصد وجه الأرض الطاهر التظيف فتيمموا: أي اقصدوا وتعمدوا، وأصل التيمم: قصد الشيء وتعمده صعيدًا: أي ترابًا، والصَّعيد: الغبار الذي يصعد؛ من الصعود، ويُطلق أيضًا على وجه الأرض. فالتيمم جائز في رفع الحدث الأصغر وفي الحدث الأكبر؛ فقد ذكره الله تعالى بعد الوضوء وبعد الغسل من الجنابة، فيكون في ذلك دليل على أن من عليه غسل الجنابة إذا لم يجد الماء، فإنه يتيمم ويصلي وما أجمل أن يأتي النظم بكلمة ماء منكورة في قوله تعالى: (فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً) فهذا يدل على أنه كلما بقي اسم الماء المطلق كان طاهرًا في نفسه مطهرًا لغيره. وأيضا قوله تعالى: (فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً) أي: في الأماكن القريبة منه التي لا يلحقه حرج بطلب الماء فيها، وإذا تيقن عدم وجود الماء حوله، فلا يجب عليه البحث عند كل صلاة؛ لأن هذا عبثٌ ومنافٍ للحكمة، ومنافٍ للشرع.

يقول القرطبي: رفع الحرج إنما هو لمن استقام على منهاج الشرع ثم يأتي التعليل لإثبات الحكمة في شرع الله؛ من خلال قوله تعالى: (وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ) فالله -



سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - حَكِيمٌ فِي كُلِّ مَا يَخْلُقُ، وَفِي كُلِّ مَا يَشْرَعُ؛ وَمِنْ ثَمَّ فَيَجِبُ الْاسْتِسْلَامُ لَهُ
سُبْحَانَهُ فِي كُلِّ مَا أَمَرَ وَقَوْلُهُ: (لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (لَعَلَّ) هُنَا لِلتَّعْلِيلِ، وَالْمَعْنَى لِعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ اللَّهُ عَلَى رَحْمَتِهِ بِكُمْ وَفَضْلِهِ عَلَيْكُمْ.

نخرج من ذلك بما يلي:

أولاً: جاءت الآية المباركة معجزة في نظمها دقيقة في نسقها متناغمة في حجمها حيث إنها
جاءت بأقسام الطهارة الثلاثة - الغُسل والوضوء والتيمُّم - وهي كلها نعم من الله
ذي المنن على عباده؛ فمن رأى فضائل الوضوء وما يكفر من الذُّنوبِ، عَرَفَ نِعْمَةَ
الله - عَزَّوَجَلَّ - بهذا، وكذلك الغُسلُ من الجنابة، ولا سيَّما في أَيَّامِ الشِّتَاءِ وَأَيَّامِ
المشقة وصدق الله تعالى في قوله: (وَلِيْتِمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ) فسبحان من أكرم عباده
بواسع رحماته.

ثانياً: دلت هذه الآية المباركة على سبعة أصولٍ، كُلُّهَا مَثَقَى: طهارتان: الوُضوءُ والغُسلُ،
ومُطَهِّران: الماءُ والتُّرابُ، وحُكَّمان: المسحُ والغُسلُ، وموجبان: الحَدَثُ والجنابةُ،
ومُبيحان: المرَضُ والسَّقَرُ، وكنائتان: الغائِطُ والمُلامسةُ، وكرامتان: تطهيرُ
الذُّنوبِ، وإتمامُ النعمة.



المطلب الثالث

الآية القصيرة

من أوجه الإعجاز في الآية القرآنية التناسب العجيب بين حجم الآية بالنسبة للطول أو القصر مع وحدة موضوعها ودلالة الألفاظ على ذلك نتناول في هذا المبحث الإعجاز النظفي في الآية القصيرة يقول تعالى: (وَدَا أَلْنُونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) (الأنبياء: ٨٧) يكمن الإعجاز في هذه الآية المباركة في أنها على قصرها روت لنا قصة كاملة بمشاهدها الحية التي تتملك الحواس فأنت تتصور الأحداث وتتعايش معها من خلال تعبير نظفي ذو ألفاظ قوية الدلالة معبرة تعبيراً دقيقاً ينقلك من حدث إلى حدث بشيء من الانسيابية الفكرية المرتبة المفعممة بالتشويق يتمثل ذلك فيما يلي:

أولاً: التلازم التام بين اللفظ والمعنى والحدث فهذا ذا النون يونس -عَلَيْهِ السَّلَامُ- هو نفسه صاحب الحوت وفي هذا إشارة إلى الحوت أنه سيكون صاحب دور بارز ومحوري في القصة فهو الذي التقم يونس -عَلَيْهِ السَّلَامُ- ثم نبذه بأمر من الله جل وعلا تأتي بعد ذلك جملة (إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا) لتروي لنا قصة خروج يونس من القرية والحال الذي كان عليه... بهذه الألفاظ البسيطة المعدودة المحدودة لكي تتلف النفس وتتشوق إلى ما حدث... وهنا تكثر الأسئلة كيف كان حال يونس مع قومه؟ وما الذي جعله يغضب منهم؟ ويجيء التعبير بلفظ (مُغْضِبًا) لهييج النفس ويجعلها في شوق إلى حقيقة ما حدث هل كانت المغاضبة منه فقط أم كانت بينه وبينهم يقول الجمل: وقوله: (إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا) أي: غضبان على قومه، فالمفاعلة ليست على بائها فلا مشاركة كعاقبت وسافرت، ويحتمل أن تكون على بائها من المشاركة، أي غاضب قومه وغاضبوه حين لم يؤمنوا في أول الأمر^(١). ثم يأتي ما ترتب على هذه المغاضبة بتعبير دقيق ونظم أنيق في قوله تعالى (فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ) فهذا بيان لما ظنه نبي الله يونس -عَلَيْهِ السَّلَامُ- حين فارق قومه غاضباً عليهم بدون إذن من الله يقول صاحب التحرير والتنوير: يقتضي أنه

(١) حاشية الجمل على الجلالين ج ٣ ص ١٤٣



خرج خروجاً غير مأذون له فيه من الله^(١) يقول صاحب الوسيط: والمعنى: أن يونس قد خرج غضبان على قومه لعدم استجابتهم لدعوته فظن أن لن نضيق عليه، عقاباً له على مفارقتهم لهم من غير أمرنا^(٢). ثم يأتي الحدث الأكبر الذي يسمى عند القصاصين بعقدة القصة وهو ذروة الأحداث فيها وذلك في قوله تعالى: (فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ) وهذه الجملة تجمع خمس أحداث جسام تتمثل فيما يلي:

الأول: وقوع القرعة عليه واستقرارها عنده وما يصاحب ذلك من هم وغم فبعد دقائق سيلقي نفسه في البحر... ذلك المصير المجهول الذي يمثل الهلاك المحتم.

الثاني: إلقاء نفسه في البحر وما يتبعه وانعدام فرص النجاة.

الثالث: التقام الحوت له.

الرابع: مكوثه في بطن الحوت وإدراكه أنها النهاية وأنه لا فكاك مما هو فيه إلا بمعجزة ربانية.

الخامس: الاعتراف بالذنب والتوبة منه مع حسن اليقين في الله. وقد عبرت الآية الكريمة بلفظ الظلمات ليفسح المجال للفكر والتصوير بتكوين صورة للأهوال والشدائد التي يعاني منها هذا العبد الصالح ويترك المجال للمشاعر المتضاربة المتأرجحة بين الشعور باليأس من خلال المشاهد المحسوسة وبين اليقين الكامل في قدرة الله وبالتالي الأمل في النجاة فعند اجتماع هذه الأسباب الموجبة للخوف الشديد يكون الصدق مع ويكون الرجوع ظاهراً وباطناً.

لأن الإنسان في هذه الحالة يعظم إخلاصه في حضرة الله، وينقطع رجاؤه عن كل ما سواه. ثم يأتي الفرج بهذا الدعاء (أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ).

وقوله إني كنت من الظالمين فيه مبالغة في اعترافه بظلم نفسه حين خرج مغاضباً وبعد هذا الالذکر الممزوج بالصدق والإخلاص يأتي الفرج منه سبحانه.

(١) تفسير التحرير والتنوير ج ١٧ ص ١٣٢ بتصرف

(٢) تفسير الوسيط. ج ٩ ص ٢٤٤



المطلب الرابع

الآية القصيرة جدا

تتنوع الآية البالغة القصر إلى أنواع عدة فقد تكون من كلمتين أو كلمة أو أحرف مقطعة وكل في نظمه إعجاز فسبحان من هذا كلامه في هذا المطلب سنتناول كل نوع كما يلي:

أولاً: الآية ذات الكلمتين:

يقول تعالى: (الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) (الفاتحة: ٣) وصُفَّ اللهُ سبحانه نفسه بالربوبية، التي تعني أنه السيد، المالك، المعبود المتصرف صاحب المحامد الذي له مطلق التصرف في شؤون خلقه، فربوبيته سبحانه لها ليست كما يتبادر لذهن البعض مقرونة بالجبروت والقهر؛ وإنما جاءت بالرحمة ومن هنا أتى سبحانه بعدها باسمي الرحمن والرحيم لينبسط أمل العبد في العفو إن زل، وبالتالي يقوى رجاؤه دائماً في رحمته سبحانه.

يقول صاحب المنار: وصف الله تعالى نفسه بالربوبية بيّن أن تربيته تعالى للعالمين ليست لحاجة به إليهم، كجلب منفعة، أو دفع مضرة، وإنما هي لعموم رحمته وشمول إحسانه^(١).

والرَّحْمَنُ والرَّحِيمُ: اسمانِ مشتقان من الرَّحْمَةِ على وجه المبالغة، والرحمة في اللغة: هي الرقة والتعطف، ورحمن أشد مبالغةً من رحيم؛ وذلك لأنَّ (رحمن) على وزن فعلان، وهذه الصيغة تفيد الكثرة والسعة، فالرَّحْمَنُ: ذو الرَّحْمَةِ الواسعة لجميع خلقه، يقول تعالى: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) (طه: ٥) فذكر الاستواء باسمه الرحمن ليعم جميع خلقه برحمته.

والرَّحِيمُ: ذو رحمةٍ خاصَّة، يختصُّ بها عباده المؤمنين فهو سبحانه ذو الرحمة

(١) مؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة

القلموني الحسيني. الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: ١٩٩٠ م عدد الأجزاء: ١٢



الواسعة الشاملة لجميع خلقه يقول تعالى: (وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) (البقرة:١٦٣) وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله: (وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا) (الأحزاب:٤٣) وقوله سبحانه: (إِنَّهُمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) (التوبة:١١٧).

ويكمن إعجاز النظم فيما يلي:

أولاً: إتيانه سبحانه بالاسمين معا، ولما كانت الفاتحة هي أم الكتاب وقد اشتملت على أمهات المطالب التي جاءت في القرآن العظيم فقد أتى بالاسمين الرحمن والرحيم الذي بهما ترحم الخلائق جميعها والمتأمل في اسمه الرحمن الذي به كمال الربوبية يلمس رحمته بعباده حين لم يتركهم هملا في هذه الدنيا وإنما أكرمهم بالمعرفة التي بها معاشهم وأمدهم بالرسول والكتب التي بها السعادة في معادهم^(١).

ثانياً: النسق اللفظي بين لفظي الجلالة الله ورب مع اسمي الرحمن والرحيم. جاء في البسمة اسم الجلالة الله وهو الاسم الأعظم الجامع لكل الأسماء الحسنى والصفات العلى ولذلك فهو أقوى الأعلام بمعنى أنه أقوى تعريف للذات الإلهية فالألف واللام واللام فيه ألف ولام الكمال ولا يأتي اسم الله إلا لبيان القدرة والجلال والجبروت ابتداءً ويشير إلى الحساب.

ثانياً: الآية ذات الكلمة:

والكلام عن الآية ذات الآية الواحدة يأتي عن قوله تعالى: (مُدْهَامَّتَانِ) يقول الألويسي: وقوله: (مُدْهَامَّتَانِ) صفة للجنيتين. أي: هما شديدتا الخضرة، والخضرة إذا اشتدت ضربت إلى السواد من كثرة الري^(٢)

أما في الإعجاز النظمي للآية المتمثل في لفظ (مدهمتان) فقد جاء وافيا كافيا يلبي حاجة المعنى المقصود فسبحان من عبر بلفظ واحد عن معاني كثيرة.

(١) مدارج السالكين المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية المحقق:

محمد المعتصم بالله البغدادي الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ -

١٩٩٦ م عدد الأجزاء: ٢ ج ١ ص ٣٢ بتصرف

(٢) تفسير الألويسي ج ٢٧ ص ١٢١



ثالثاً: الآية ذات الأحرف المقطعة:

جاء في العدد المكي للقرآن العظيم أن (حم) هي الآية رقم واحد في السور السبعة المفتتحة بها، والمسماة بالحواميم؛ وذلك لأنها مكونة من كلمة واحدة بحرفين فقط. والحروف المقطعة التي افتتحت بها بعض سور القرآن الكريم، إشارةً إلى إعجاز القرآن الكريم، فكأن الله تعالى يقول للعرب أن هذه الحروف نفس الحروف التي تتكلمون بها، فهل تستطيعوا وأنتم أرباب البلاغة والفصاحة ومن ملكتم ذمام لغتكم أن تأتوا بمثل هذا القرآن؟ فلما عجزوا عن الإتيان بمثله، دل على أنه منزل من عند الله تعالى. وقد توقف في تفسير هذه الآية وغيرها من الحروف المقطعة جمع من العلماء كالخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم وغيرهم من الصحابة والتابعين وأتباعهم، ولم يثبت عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه فسرها فيستحسن أن نقول: الله أعلم بالمراد منها. ولكن ثبت عن بعض المفسرين من الصحابة والتابعين وأتباعهم أنهم بينوا تفسيرها واختلفوا فيه^(١).

والتمس بعض العلماء الحكمة من هذه الحروف فقالوا: "أنها ذكرت هذه الحروف والله أعلم في أول السور التي ذكرت فيها بياناً لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله، هذا مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها، وهذا هو الذي نصره شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ- وارتضاه أبو الحجاج المزني -رَحِمَهُ اللهُ-^(٢).

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

(١) موسوعة الصحيح الميسور من التفسير بالمأثور المؤلف: أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين الناشر: دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة- المدينة النبوية الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م عدد الأجزاء

٩٤/ص ١/ج ٤:

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة ج/٤ ص/١٤٤.



الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات له الشكر والثناء الحسن أن وفقنا على إتمام هذا العمل لا يسعني إلا أن أقول كما قال ربنا على لسان خليل الرحمن إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: (رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (البقرة: ١٢٧) فبعد هذا الجهد المتواضع أتم الله علي النعمة بالانتهاء من هذا البحث الذي هو بعنوان: (الإعجاز النظمي في الآية القرآنية وأثره على وحدة موضوعها ومعناها) والذي تكلمت فيه عن علاقة الإعجاز النظمي في الآية القرآنية وعلاقته بمبناها وموضوعها ومعناها وتبين لي هذا الترابط والتناغم بين هذه المفردات مما يجعل الآية كحبة لؤلؤ محبوكة الصنعة كل ما فيها يعبر عنها وهي في نفس الوقت جزء من عقد بديع يمثل سياق نصي واحد يلقي بظلاله الوارفة على قلب المتلقي فيبعث في قلبه الطمأنينة وفي نفسه النقاء وفي روحه العلو وقد تحدثت في هذا الموضوع من خلال ما يلي:

بدأت بتعريفات البحث الذي تشكل مفاتيحه ثم ثنيت ببيان العلاقة الوثيقة بين نظم الآية ونظم السورة المباركة ثم ثلثت بالعلاقة بين الوحدة البنائية للآية ونظمها.

أولاً: النتائج:

أولاً: أن القرآن الكريم يمثل وحدة نظمية محكمة البناء تمثل الجانب الإعجازي فيه فهو إلى جانب الوحدة البنائية يخمل وحدة نظمية تمثل جانباً إعجازياً قائماً بذاته.

ثانياً: أن هناك بناءً نظمياً متسلسل ابتداءً من نظم الآية كأصغر وحدة بنائية ثم النظم السياقي المقطعي الذي يمثل وحدة جزئية للسورة ثم يأتي البناء النظمي الذي يمثل السورة بأكملها الذي يمثل جزءاً من الوحدة البنائية النظمية العامة للقرآن العظيم.

ثالثاً: أن الآية القرآنية العظيمة تمثل وحدة نظمية متكاملة المبنى والمعنى في إطار محدد.

ثانياً: التوصيات:

أوصي إخواني الباحثين بتوسيع دائرة البحث في هذا الموضوع بهدف:



أولاً: الوقوف على الجوانب الإعجازية للقرآن العظيم.

ثانياً: أن هذا النوع من الدراسات العميقة يمثل جانباً عظيماً في خدمة لغة القرآن.

الثالث: الاطلاع على جهود أهل التفسير في هذا الموضوع حيث إنه يمثل قاعدة الانطلاق للإبداع في هذا الفن.

وأخيراً أسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت في هذا وأن يجعل منه اسهماً في خدمة كتابه العزيز إنه بكل جميل كفيل وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الأستاذ الدكتور/ محمد عبد الرحيم جمعه سليمان

أستاذ التفسير وعلوم القرآن

عميد كلية الدراسات الإسلامية جامعة الريادة





أهم المصادر والمراجع

- ١- الإتقان في علوم القرآن المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م عدد الأجزاء: ٤
- ٢- إعجاز القرآن المؤلف: أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (ت ٤٠٣هـ) المحقق: السيد أحمد صقر الناشر: دار المعارف - مصر الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧ م
- ٣- بدائع الفوائد المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان عدد الأجزاء: ٤
- ٤- البرهان في علوم القرآن المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه عدد الأجزاء: ٤
- ٥- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) المحقق: محمد علي النجار الناشر: المجلس الأعلى للدراسات الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة عدد الأجزاء: ٦
- ٥- تاج العروس من جواهر القاموس المؤلف: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي تحقيق: جماعة من المختصين من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت عدد الأجزاء: ٤٠ مصطفى ديب البغا (١٩٩٨)، الواضح في علوم القرآن (الطبعة الثانية)، دمشق، دار الكلم الطيب/ دار العلوم الإنسانية.
- ٦- التعريفات المؤلف الجرجاني، التعريفات، تحقيق جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣ م.
- ٧- إعجاز القرآن المؤلف أبي بكر الباقلاني تحقيق: السيد أحمد صقر، نشر: دار المعارف، القاهرة.
- ٨- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب

المجيد» المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي
(المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ عدد
الأجزاء: ٣٠

٩- تفسير المنار المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء
الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب
سنة النشر: ١٩٩٠ م عدد الأجزاء: ١٢

١٠- التفسير الوسيط للقرآن الكريم المؤلف: محمد سيد طنطاوي الناشر: دار نهضة
مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة الطبعة: الأولى.

١١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد
الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة
الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م عدد الأجزاء: ١

١٢- حاشية العطار المؤلف: حسن العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع،
بيروت، دار الكتب العلمية.

١٣- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن
أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق:
أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة:
الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م عدد الأجزاء: ٢٠ جزءاً (في ١٠ مجلدات)

١٤- الشفا بتعريف حقوق المصطفى " للقاضي عياض ت (٥٤٤هـ)، دار الفكر بيروت،
١٤٠٩هـ = ١٩٨٨ م

١٥- صحيح الجامع المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن
نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت ١٤٢٠هـ) الناشر: المكتب الإسلامي عدد
الأجزاء: ٢

١٦- لسان العرب المؤلف: ابن منظور؛ محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال
الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي لإفريقي، صاحب (لسان العرب) حالة
الفهرسة: غير مفهرس لناشر: دار صادر - بيروت عدد المجلدات: ١٥



- ١٧- مجمل اللغة لابن فارس المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ) دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الثانية - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
- ١٨- مختار الصحاح المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي المحقق: يوسف الشيخ محمد الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م عدد الصفحات: ٣٥.
- ١٩- مدارج السالكين المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م عدد الأجزاء: ٢
- ٢٠- المدخل لدراسة القرآن الكريم د. محمد بن محمد ابو شهبة مكتبة السنة ط ٢ سنة ١٩٩٢
- ٢١- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٠هـ) المحقق: حقه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م عدد الأجزاء: ٨
- ٢٢- معجم مقاييس اللغة المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م. عدد الأجزاء: ٦
- ٢٣- المفردات في غريب القرآن المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ
- ٢٤- موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور المؤلف: أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين الناشر: دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة - المدينة النبوية الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م عدد الأجزاء: ٤.



ahamu almasadir walmarajie

- 1- al'iitqan fi eulum alquran almualafa: eabd alrahman bin 'abi bakr, jalal aldiyn alsuyuti almuhaqaqa: muhamad 'abu alfadl 'iibrahim alnaashir: alhayyat almisriat aleamat lilkitab altabeati: 1394hi/ 1974 m eadad al'ajza'i: 4
- 2- 'iiejaz alquran almualafi: 'abu bakr albaqilaniu muhamad bin altayib (t 403hi) almuhaqiqi: alsayid 'ahmad saqr alnaashir: dar almaearif - misr altabeatu: alkhamisati, 1997m
- 3- badayie alfawayid almualafa: muhamad bin 'abi bakr bin 'ayuwb bin saed shams aldiyn abn qiam aljawziat alnaashir: dar alkutaab alearabii, bayrut, lubnan eadad al'ajza'i: 4
- 4- alburhan fi eulum alquran almualafu: 'abu eabd allah badr aldiyn muhamad bin eabd allah bin bihadir alzarkashii almuhaqaqa: muhamad 'abu alfadl 'iibrahim altabeatu: al'uwlaa, 1376 hi - 1957 m alnaashir: dar 'iihya' alkutub alearabiat eisaa albabaa alhalabi washurakayih eadad al'ajza'i:4
- 5- basayir dhawi altamyiz fi litayif alkutaab aleaziz almualafi: majd aldiyn 'abu tahir muhamad bin yaequb alfiruzabadaa (t 817hi) almuhaqaqa: muhamad eali alnajaar alnaashir: almajlis al'aelaa lilshuyuwun al'iislatiati - lajnat 'iihya' alturath al'iislami, alqahirat eadad al'ajza'i: 6
- 5- taj alearus min jawahir alqamus almualafi: mhmmd murtadaa alhusayni alzzabydy tahqiq: jamaeatan min almukhtasiyn min 'iisdarati: wizarat al'iirshad wal'anba' fi alkuayt - almajlis alwatanu lilthaqafat walfunun waladab bidawlat alkuayt eadad al'ajza'i: 40 mustafaa dib albugha (1998), alwadih fi eulum alquran (altabeat althaaniatu), dimashqa, dar alkalm altayib/ dar aleulum al'iinsaniati.
- 6- altaerifat almualif aljirjani, altaerifati, tahqiq jumat min aleulama' bi'iishraf alnaashir, dar alkutub aleilmiati bayrut lubnanan altabeat al'uwlaa,1403h/1983m.
- 7- 'iiejaz alquran almualif 'abi bakr albaqlani tahqiq: alsayid 'ahmad saqra, nashra: dar almaearifi, alqahirati.
- 8- altahrir waltanwir <<tahrir almaenaa alsadid watanwir aleaql aljadid min tafsir alkitaab almajid>> almualafi: muhamad altaahir bin muhamad bin muhamad altaahir bin eashur



- altuwnusii (almutawafaa: 1393hi)alnaashir: aldaar altuwnisiat
lilnashr - tunis sanat alnashri: 1984 ha eadad al'ajza'i:30
- 9- tafsir almanar almualafi: muhamad rashid bin eali rida bin
muhamad shams aldiyn bin muhamad baha' aldiyn bin minla eali
khalifat alqalmuni alhusaynialnaashir: alhayyat almisriat
aleamat lilkitab sanat alnashri: 1990 m eadad al'ajza'i: 12
- 10- altafsir alwasit lilquran alkarim almualafa: muhamad sayid
tantawialnaashir: dar nahdat misr liltibaeat walnashr
waltawzie, alfajaalat - alqahirat altabeatu: al'uwlaa.
- 11- taysir alkarim alrahman fi tafsir kalam almanan almualafi: eabd
alrahman bin nasir bin eabd allah alsaedi (t 1376hi) almuhaqiq:
eabd alrahman bin maela allwayahiqaalnaashir: muasat
alrisalat altabeatu: al'uwlaa 1420h -2000 m eadad al'ajza'i: 1
- 12- hashiat aleataar almualafi: hasan aleataar ealaa sharh aljalal
almahaliyi ealaa jame aljawamiei, bayrut, dar alkutub aleilmiati.
- 13- aljamie li'ahkam alquran = tafsir alqurtubii almualafu: 'abu
eabd allah muhamad bin 'ahmad bin 'abi bakr bin farah al'ansarii
alkhazrajiu shams aldiyn alqurtibii (almutawafaa: 671hi)
tahqiqu: 'ahmad albarduni wa'iibrahim 'atfishalnaashir: dar
alkutub almisriat - alqahirat altabeatu: althaaniatu, 1384h - 1964
m eadad al'ajza'i: 20 juz'an (fi 10 mujaladati)
- 14- alshafa bitaerif huquq almustafaa" lilqadi eiad t (544hi), dar
alfikr bayrut, 1409h = 1988m
- 15- sahih aljamie almualafu: 'abu eabd alrahman muhamad nasir
alldiyn, bin alhaji nuh bin najati bin adim, al'ushqudri al'albanii
(t 1420hi)alnaashir: almaktab al'iislamiu eadad al'ajza'i: 2
- 16- lisan alearab almualafa: aibn manzur; muhamad bin makram
bin eulay, 'abu alfadal, jamal alldiyn aibn manzur al'ansari
alruwifei li'ifriqi, sahib (lisan alearbi) halat alfahrisati: ghayr
mufahris linashir: dar sadir - bayrut eadad almujaladati: 15
- 17- mujmal allughat liaibn faris almualafa: 'ahmad bin faris bin
zakaria' alqazwinii alraazi, 'abu alhusayn (t 395hi) dirasat
watahqiqu: zuhayr eabd almuhsin sultan dar alnashra: muasat
alrisalat - bayrut altabeat althaaniat - 1406 hi - 1986 m .
- 18- mukhtar alsihah almualafi: zayn alldiyn 'abu eabd allah
muhamad bin 'abi bakr bin eabd alqadir alhanafii alraazi
almuhaqaqa: yusif alshaykh muhamadalnaashir: almaktabat



- aleasriat - aldaar alnamudhajiatu, bayrut - sayda altabeata:
alkhamisatu, 1420h / 1999m eadad alsafahati: 350
- 19- madarij alsaalikin almualafa: muhamad bin 'abi bakr bin
'ayuwb bin saed shams aldiyn abn qiam aljawziat almuhaqaqa:
muhamad almuetasim biallah albaghdadii alnaashir: dar alkitaab
alearabii - bayrut altabeatu: althaalithatu, 1416 hi - 1996m
eadad al'ajza'i: 2
- 20- almadkhal lidirasat alquran alkarim du. muhamad bin
muhamad abu shahbat maktabat alsanat t 2 sanat 1992
- 21- maealim altanzil fi tafsir alquran = tafsir albaghawii almualafi:
muhyi alsanat, 'abu muhamad alhusayn bin maseud albaghawii (t
510hi) almuhaqiqi: haqaqah wakharaj 'ahadithah muhamad
eabd allah alnamir - euthman jumeatan damiriatan - sulayman
muslim alharash alnaashir: dar tiibat lilnashr waltawzie
altabeati: alraabieati, 1417 hi - 1997 m eadad al'ajza'i: 8
- 22- muejam maqayis allughat almualafa: 'ahmad bin faris bin
zakaria' alqazwinii alraazi, 'abu alhusayn (t 395hi) almuhaqiq:
eabd alsalam muhamad harun alnaashir: dar alfikr eam alnashri:
1399h - 1979m. eadad al'ajza'i: 6
- 23- almufradat fi gharayb alquran almualafu: 'abu alqasim
alhusayn bin muhamad almaeruf bialraaghib al'asfuhanaa (t
502hi) almuhaqiqi: safwan eadnan aldaawudi alnaashir: dar
alqalami, aldaar alshaamiat - dimashq bayrut altabeatu: al'uwlaa
- 1412 h
- 24- mawsueat alsahih almasbur min altafsir bialmathur almualafi:
'a. da. hakamat bn bashir bin yasin alnaashir: dar almathir
lilnashr waltawzie waltibaeati- almadinat alnabawiat altabeati:
al'uwlaa, 1420 hi - 1999 m eadad al'ajza'i:4.





فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة.....	١٣٥
المبحث الأول: تعريفات خاصة بالبحث.....	١٣٩
المطلب الأول: الإعجاز لغة واصطلاحاً.....	١٤٠
المطلب الثاني: النظم.....	١٤٣
المطلب الثالث: القرآن بين السورة والآية.....	١٤٦
المبحث الثاني: الآية مكانتها في نظم السورة المباركة وبين نظمها الذاتي.....	١٥٠
المطلب الأول: كون الآية وحدة واحدة في نظمها.....	١٥١
المطلب الثاني: كون الآية جزء من موضوع.....	١٥٣
المطلب الثالث: كون الآية صدر لموضوع معين.....	١٥٦
المطلب الرابع: كون الآية خاتمة موضوع.....	١٦٠
المبحث الثالث: نظم الآية ومناسبته لطول الآية وقصرها.....	١٦٢
المطلب الأول: الآية الطويلة.....	١٦٣
المطلب الثاني: الآية المتوسطة.....	١٦٨
المطلب الثالث: الآية القصيرة.....	١٧١
المطلب الرابع: الآية القصيرة جداً.....	١٧٣
الخاتمة.....	١٧٦
أهم المصادر والمراجع.....	١٧٨
فهرس الموضوعات.....	١٨٤

